قراءة في حديث الأحرف السبعة

د / بن فطة عبد القادر، أستاذ محاضر "أ".
جامعة امصطفى اسطمبولي، معسكر.

ملخص:

إن حديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف من المواضيع المهمة، لاتصاله بالقرآن الكريم، ولا يكاد يخلو كتاب في القراءات القرآنية أو علوم القرآن إلا وقد تناول هذا الموضوع بالإسهاب والتفصيل. ولم يغفل عنه علماء المسلمين في معالجته، بدوافع مختلفة منها ما هو موضوعي لدراسة مضامين القرآن، ومنها ما هو قصد التشكيك والتبديل كما فعله المستشرقون بذريعة البحث العلمي، فكان لكل واحد منهم موقفه ونظرته.

فاختلافات العلماءفي قراءاتهم للحديث حفّز الاجتهادات الفردية على دعم آرائهم، وتحليل المسائل المرتبطة به. وهذا خدمة للقرآن الكريم لاستيعاب ما تعسّر على المتعلمين للوقوف على دقائق المعاني .

وما دامت الآراء مختلفة، إذن ما معنى الأحرف التي أرادها الرسول صلى الله عليه وسلم وما تأويلها؟ فهل المراد بالأحرف اللغات؟ أم القراءات السبع؟ وما علاقته بالمصاحف العثمانية؟

الكلمات المفتاحية:
القرآن الكريم، الأحرف السبعة، القراءات القرآنية، المصاحف العثمانية.

مقدّمـة:

بلغ الحديث النبوي الشريف ذروته تطلب نباهة مرموقة و قريحة أريبة لانغماس في لبّها واستنباط معناها. إنّه يمتلك طاقة تشريعية مركّزة موجّهة لجمهرة أهل العلم، تقرأ بوعي بفضل أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم الفصيح المبطّن بالعبر.إنّه مصاغ بصورة بديعة بوسعنا القول أنّه وثيقة روحية و علمية لأولي النهى، لا يقوى طالب العلم التهرّب من قراءتها فهي مبدأ الحرمة النبوية.

أدرك العلماء أهمية النصائح الواردة في الحديث النبوي الشريف، فاستظهروها وتعمّقوا في مقاصده لتنشئة الذوق اللغوي و تعلّم الأسلوب تجنبا للزلق في التأليف، و تحقيق المنهجية الذكية. فدرجة الكمال للفصاحة النبوية أغنت العلم و أثرت المعرفة، وكوّنت شخصية المسلم و أبعدته عن الركود و النمطية، فلا عجب أن تكون هذه التوجيهات ذات القيمة أعظم سطوعا في قراءة القرآن ظلت مشّعة إلى رؤية البارزة مشحونة بالدلالات الراقية التي تسبح في فلك الهدي النبوي.

حديث نزول القرآن على سبعة أحرف :

إن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف صحيح أثبتته كل الطرق الواردة في الصحاح واتفقت عليه كتب السنة.ولقد ذكر (السيوطي911هـ) في الإتقان واحدا وعشرين صحابيا رووا هذا الحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة:" أبيّ بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد ابن أرقم وسمرة بن جندب، وسليمان بن صُرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمان بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة، وعمرو ابن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بكرة، وأبي جهم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي أيوب، فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا وقد نص أبو عبيد على تواتره"[1].

وما نجده في الأحاديث الصحيحة المروية عن مختلف الطرق ما يؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرّح بنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ومن بينها ما رواه(البخاري)(أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلّم، ثم لببته بردائه أو بردائي، فقلت:

من أقرأك هذه السورة؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى عليه وسلم فقلت له: كذبت فو الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر أقرأ يا هشام فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها، قال رسول الله

[1] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي 2005بيروت، ص123

صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه)[2].

إن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذها عنه الأئمة، وأكّدها عثمان والصحابة في المصحف، واتّفقوا على صحتها، و حذفوا منها ما لم يثبت متواترا.

كما وردت أحاديث تضمنت أعدادا غير العدد السبعة وهي حسب الترتيب وبالأرقام كما وردت في كتاب كنز العمال:

الحديث الأول رقم 2782 طعن أبي هريرة (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه وغرائب فرائضه وحدوده فإن القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال (هب)[3].

الحديث الثاني رقم 2956 (أنزل القرآن على عشرة أحرف، بشير ونذير، وناسخ ومنسوخ، وعظة ومثل، ومحكم ومتشابه، وحلال وحرام).)[4].

الحديث الثالث رقم 3088: (أنزل القرآن على ثلاثة أحرف فلا تختلفوا فيه، ولا تحاجوا فيه، فإنه مبارك كله فاقرأوه كالذي أقريتموه) ابن ضريس عن سمرة)[5].

الحديث الرابع رقم 3091: (أتاني جبريل فقال اقرأ القرآن على حرف واحد) عن سليمان ابن صر بن منيع)[6].

الحديث الخامس رقم 3097: (أنزل القرآن على أربعة أحرف، حلال وحرام، لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير تفسيره العرب وتفسير تفسيره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله ومن علمه

سوى الله فهو كاذب) ابن جرير والسجزي عن ابن عباس وقال ابن جرير في إسناده نظر)[7].

ما يلاحظ على الروايات المرتبطة بنزول القرآن على سبعة أحرف ما يلي:

تظهر أهم مواطن الاختلاف في الحديث في تلك الألفاظ الموجودة في المتن: أنزل، اقرأ، سبعة، الأحرف. فالفعل (أنزل) يكتسب صفة الأحرف السبعة لزوما لكونه منزلا عليها. وهناك فرق بين الإنزال والتنزيل في صف القرآن والملائكة. أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله متفرقا منجما ومرة بعد مرة والإنزال عام.قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) القدر 1.

---

[2]. البخاري – صحيح البخاري،دار إحياء التراث العربي بيروت 542/،2

[3]. علاء الدين المتقي، كنز العمال ،1تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت 607/12001

[4]. نفس المرجع 16/2

[5]. نفس المرجع 53/2

[6]. نفس المرجع،54/2

[7]. نفس المرجع،55/2

إنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل، لما روى أن القرآن أنزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزِّلَ منجما حسب المصالح ثم الإنزال يكون بنفسه كقوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِمَآءً) المؤمنون 18.

ولكن الفعل (اقرأ) قد يدل على هذا المعنى بل على الأحرف السبعة، أمر قد يأتي خلال القراءة، أو الإقراء، على وجه الإباحة، والتخيير.

وعبارة الأحرف هي جمع حرف الموجود في الحديث تقع على معان مختلفة. واختلف العلماء في تحديد لفظ السبعة يقول (الزرقاني (1122هـ) : (غير أن الحديث قد جاء بلفظ السبعة، فيعلم من مجموع تلك الروايات، أن المراد بلفظ السبعة حقيقة العدد المعروف في الآحاد بين الستة والثماني)(8).

بينما يرى غيره عكس ذلك ومنهم (القاضي عياض 544هـ) (فلفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعين)(9).

ونفس الرأي ذهب إليه (إبراهيم أنيس) يقول: (ليس المراد قصر الأحرف على العدد سبعة، بل المراد مجرد التعدد، وهو ما ينسجم مع العقلية السامية لأن العدد سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب السامية)().حديث يدل على أن المراد بالسبعة العدد الحقيقي، بحيث لا يزيد ولا ينقص لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستزيد الملك حرفا وراء حرف حتى بلغ سبعة أحرف.

إن عدد الأسانيد التي ورد عن طريقها الحديث ستة وأربعون سندا منها (عشرون في رواية أبيّ، وسبعة أسانيد في روايات ابن مسعود، وأربعة في رواية أبي هريرة، وثلاثة في روايات أم أيوب، ومثلها لابن عباس، واثنان لعمر وابنه عبد الله، وواحدة لكل من زيد بن الأرقم وأبي طلحة، وأبي جهيم، وأبي بكرة، وابن صرد، وابن دينار، وأبي العالية)[10].

إن الإباحة بقراءة القرآن على سبعة أحرف لم تكن في الفترة المكية، وإنما خلال وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، والمكان إما المسجد، أو عند أحجار المراء، أو عند أضاءة بني غِفار مكان بالمدينة المنورة بقباء. وهذه الإباحة كانت بعد مرور تسع سنوات من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ما يلاحظ على الروايات أن الأحرف السبعة مختلفة من جهة ألفاظها لكن هناك اتفاقا في المعنى ليس فيها تضاد ولا فساد.

الحديث لم يشر إلى موضع الاختلاف بوضوح نص الآية أو الكلمة التي اختلف في قراءتها، إنما اقتصر على ذكر السورتين الفرقان والنحل، ولا ندري أكان الخلاف صوتيا يمكن أن يرجع إلى اللهجات والألسنة أم كان أمرا آخر لا نعرفه ؟

---

[8]. الزرقاني ، مناهل العرفان، دار الكتب العلمية بيروت، 2003 88/1

[9]. السيوطي ، الإتقان، ص 123

[10]. عبد الصبور شاهين ، تاريخ القرآن،المعهد العالي للدراسات 2003ص62

الخلاف كان بين صاحبين أو ثلاثة، كلما ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتكمون إليه فيقر بقراءتهم ويذكر لهم أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فكان كل واحد يقرأ كما علّمه النبي صلى الله عليه وسلم دون تقييد أو فرض قراءته على غيره، من هنا كان الاستحسان من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

آراء حول معنى الأحرف السبعة:

إن اختلاف العلماء في تفسير معنى الأحرف السبعة المذكورة في الحديث أثار عددا من الآراء المتضاربة في حقيقة الحديث.ومنشأ الخطأ فيها إرادة التعيين على سبيل القطع والجزم. وقد تعرض لهذا الحديث أهل العلم قديما وحديثا. ولكن سنقتصر على بعض الآراء لعرضها ومناقشتها.

الرأي الأول : يقول ابن قتيبة(276هـ) : (وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه الوجه الأول : الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها مثل قال تعالى: (هَؤُلآءِ بَنَاتِي هُنّ أَطْهَرُ لَكُمْ) هود 78.كنّ أطهر لكم.

الوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة، وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، لقوله تعالى: (رَبّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) سبأ 19.

الوجه الثالث : (أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: (وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا) البقرة 259. وننشرها)[11].

الرأي الثاني : يقول(أبو الفضل بن شاذان الرازي 290هـ):" الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

1. اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث.
2. اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر.
3. اختلاف وجوه الإعراب.
4. الاختلاف بالنقص والزيادة.
5. الاختلاف بالتقديم والتأخير.
6. الاختلاق بالإبدال.
7. اختلاف اللغات يريد اللهجات كالفتح والإمالة...

الرأي الثالث : رأي أبي جعفر بن جرير الطبري (310هـ) : (فقد ذهب إلى الأحرف السبعة سبع لغات أو سبعة ألسن العرب التي يعجز عن إحصائها، وإن الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن هي لغات سبع في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني كقول القائل: هلمّ، أقبل، وتعالى، إلي، وقصدي، ونحوي،

[11]. ينظر ابن قتيبة،تأويل مشكل القرآن،ص 31-32

وقربي ونحو ذلك، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني، وإن اختلفت بالبيان به اللسن)[12].

الرأي الرابع : نقد (مكي بن أبي طالب القيسي437هـ) : رأي الطبري ووصفه بأنه متناقض يقول:(فالقراءات التي في أيدي الناس كلها عنده حرف واحد من الأحرف السبعة التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم)[13].

الرأي الخامس: قال (أبو عمر الداني)444هـ"فأما معنى الأحرف السبعة التي أرادها النبي عليه الصلاة والسلام هاهنا فإنه يتوجه إلى وجهين:

أحدهما : أن يكون يعني بذكرها أن القرآن أنزل على سبعة أحرف سبعة أوجه من اللغات، لأن الأحرف جمع حرف، في الجمع القليل، مثل فلس وأفلس، ورأس ورؤوس، والحرف قد يراد به الوجه، بدليل قوله تعالى: (وَمِنَ النّاسِ مَن يَعْبُدُ اللّهَ عَلَىَ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىَ وَجْهِهِ خَسِرَ الدّنْيَا والآخرة ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الحج 11.

والمراد بالحرف هاهنا الوجه الذي تقع عليه العبادة.

والوجه الثاني من معنى الأحرف أن يكون سمى القراءات أحرفا على طريقة السعة. وأوجه اختلاف هذه السبعة فإنه يكون في أوجه كثيرة منها تغيير اللفظ نفسه وتحويله ونقله إلى لفظ آخر كقولك : "ملك يوم الدين" بغير ألف و "مالك" بألف والسراط بالسين والصراط بالصاد والزراط بالزاي... ومنها الإثبات والحذف قوله تعالى: (وَقَالُواْ اتّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لّهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلّ لّهُ قَانِتُونَ) البقرة 116.

الرأي السادس : يقول(ابن الجزري 833هـ) : (فدل على إرادة حقيقية العدد وانحصاره ولا زلت استشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سن حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صوابا إنشاء الله وذلك أنّي تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع إلى سبعة أوجه من الاختلاف ولا يخرج عنها وذلك إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو : البخل بأربعة (ويحسب) بوجهين، وبتغيير في المعنى لا الصورة "فتلقى آدم من ربه كلمات.)[14].

مناقشة الآراء:

بعد عرض هذه الآراء المختلفة استخلصنا مجموعة من الملاحظات وتتمثل فيما يلي:

هذه الآراء اجتهد أصحابها في استقرائها من الأحاديث المروية، لكنها ليست قطعية، ولم تحدد المعنى الحقيقي للأحرف السبعة، وحاول كل واحد أن يرجح رأيه، ويعززه ببعض الأدلة.

---

[12] . الطبري، جامع البيان، ط4 دار المعرفة بيروت 23/11983

[13] مكي القيسي ، الإبانةعن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، مكتبة نهضة مصر ، ص 11

[14] .ينظر ابن جزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية بيروت 26/1

ما ذهب إليه ابن قتيبة والرازي وابن الجزري بحاجة إلى توسعة، لأن إذا كان مفهوم الحرف في اللغة كما تقدم في تعريفه له معان كثيرة كالناحية واللغة، إلا أنهم جعلوا كلمة الحرف محصورة على المعنى اللغوي.

زاد الرازي وجهين غابا عند ابن قتيبة وابن الجزري وهما الاختلاف بين القراءات في الإفراد والتثنية والجمع وفي اللهجات كالإظهار والإدغام والإمالة والفتح ، لكنه لم يذكر وجه الاختلاف في الحروف مثل (تعلمون، يعلمون).

يتضح من رأي الطبري، أنه كل ما خرج عن خط المصحف وثبتت روايته من الأحرف السبعة ولا يدخل في بابه إلا ما كان إبدال كلمة مكان أخرى مرادفة لها في المعنى.

وقد علق(أبو عمرو الداني) على من ذهب إلى أن الحرف سبع لغات فيقول : وأنكر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم (أنزل القرآن على سبعة أحرف سبع لغات،وقالوا : هذا لا معنى له، لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض أول الأمر، لأنه من كان لغته شيء قد جُبِل عليه وفطر به لم ينكره عليه ...)[15]

المحدثون لم يضيفوا شيئا إنما اكتفوا بترجيح رأي على آخر، منهم من مال إلى رأي الرازي لأنه أعم وأشمل من غيره (كالزرقاني) يقول : اخترنا هذا المذهب لأربعة أمور:

1.(إنه هو الذي تؤيده الأدلة في الأحاديث العشرة الماضية وما شابهها.

2. إنه هو الراجح في تلك الموازين التي أقمناها شواهد بارزة من تلك الأحاديث الواردة.

3. إن هذا المذهب يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة، بخلاف غيره، فإن استقراءه ناقص أو في حكم ناقص)[16].

وقد ذهب كذلك (مصطفى صادق الرافعي) إلى اختيار من قال بسبع لغات يقول (والذي عندنا في معنى الحديث أن المراد بالأحرف اللغات التي تختلف بها لهجات العرب، حتى يوسع على كل قوم أن يقرءوهبلحنهم، وما كان العرب يفهمون من معنى الحرف في الكلام إلا اللغة)[17].

أما(صبحي صالح)فقد بقي متحفظا فلم يختر أي مذهب لأنها ناقصة في رأيه ويعلل ذلك فيقول(أما الرازي فلأنه لم يعرض قط في كتابه (اللوائح) إلى وجه الاختلاف في الحروف نحو (يعلمون وتعلمون). وأما الثلاثة الآخرون فحسبنا لكي لا نسلمه بمذاهبهم أنهم جميعا أغفلوا وجه الاختلاف في اللهجات عمليا، وإن دافع عنه بعضهم نظريا)[18].

---

[15] . أبو شامة، المرشد الوجيز، دار الكتب العلمية بيروت 2002، ص 1-2

[16] . ينظر الزرقاني،مناهل العرفان 83/1.

[17] . الرافعي ، إعجاز القرآن،ص 68

[18] .ينظر صبحي صالح، مباحث علوم القرآن ، ص 115-116

ما يلاحظ على رأي الشيعة أنهم يشككون في الحديث بنفي الأحرف الستة، ومخالفة أهل السنة وإنكار الرواية عنهم، واتّباع ما ورد عن أئمتهم.كمااستند المستشرقون إلى روايات غير مسندة وضعيفة، لا تمت بصلة إلى حقيقة الحديث،غايتهم إيجاد موقع لهم في الدراسات الإسلامية. وسلّطوا الأضواء على هذا الحديث لتحريف الروايات.

الأحرف السبعة والقراءات السبع:

من القدامى من جنح إلى أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع و حكى ذلك عن الخليل بن أحمد أنه فسر الحرف بالقراءة. والحقيقة أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم لا يمكن أن يقصد بها القراءات السبع، والتي تنسب إلى الأئمة السبع كابن كثير ونافع وأبي عمرو.

ولقد أورد (أبو شامة665هـ) قولا لأبي محمد مكي: (فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبي عمرو أحد الأحرف السبعة التي نص الرسول صلى الله عليه وسلم فذلك منه غلط عظيم، إذ يجب أن يكون ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكا، إذ قد استولوا على الأحرف السبعة عنده، فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة عندهم [19].وهذا الفهم والتأويل يقع على العمل الذي قام به الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد في بداية القرن الرابع للهجرة في بغداد بجمع سبع قراءات لسبعة أئمة الذين اشتهروا بالقراءة في الحرمين والعراق والشام.هذا ما دفع (أبا العباس بن عمار440هـ) يعاتب ابن المجاهد بقوله "لقد نقل مسبّع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة)[20].

فلا تعد قراءة قارئ من القراء السبعة هي أحد الحروف السبعة التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه. ولعل الدافع إلى هذا التفسير هو صد الشبهات حتى لا تصل إلى كتاب الله زيادة أو نقصان، فاهتماما بعظمة القرآن انتقى (ابن مجاهد) هؤلاء السبعة المعروفين بالثقة والعدل والأمانة واعتنائهم بالقراءة وملازمتها بعدما كثر أصحاب الفتنة الذين اقتربوا من كتاب الله تعالى، وراحوا يقرأونه ويتلونه حسب أهوائهم دون التقيّد بالمصحف العثماني. ولكن يبقى التحفظ قائما بأن الأحرف السبعة هي القراءات السبع وأن هؤلاء القراء السبعة هم أرباب القراءة، وقد شملت قراءتهم الأحرف السبعة وما سواهم شاذ ولا تروى قراءتهم.وقد ذكر المهتمون بعلم القراءات قديما عددا كبيرا من القراء من هو صاحب شأن، كما أغفل بعضهم بعض هؤلاء السبعة، وقد ترك (أبو حاتم 255هـ) وغيره(ذكر حمزة، والكسائي، وابن عامر وزاد نحو عشرين رجلا من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة)[21].

---

[19].أبو شامة ،المرشد الوجيز، ص 120

[20].السيوطي ، الإتقان، ص 205

[21]. مكي القيسي ، الإبانة، ص 06

هناك مسألة أخرى ارتبطت بهذا التأويل هو أن فلانا قرأ بالأحرف السبعة، فالمفهوم منه لكل إمام قراءته تشكل حرفا والذين أخذوا عن الصحابة والتابعين عددهم أكبر. وكان (لابن الجزري)رأي يرفض فيه هذا الاتجاه قال(لا يجوز أن يكون المراد من الأحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين وإن كان يظن بعض العوام، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا قد خلقوا أو وجدوا)[22].

فهذا الرأي قائم على المشابهة في العدد مع أنه خلط واضح. وفي هذا الصدد يقول(ابن تيمية (728هـ) (لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة المشهورة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن.) [23].

ومما يؤخذ عليه ابن مجاهد أنه عدّ قراءة يعقوب سابعا ثم عوضها بقراءة الكسائي وكذلك قراءة أبي جعفر وشيبة على أن قراءتهم صحيحة كبقية السبعة. وإذا دققنا النظر في العصور التي برز فيها أئمة القراءة لوجدناهم عاشوا في القرن الثاني والثالث، ولعل انتقاء هؤلاء السبعة يرجع إلى أن المصاحف التي كتبها عثمان الخليفة كانت سبعة، فجعل العدد مطابقا لعدد الحروف التي نزل بها القرآن كما هو وارد في الحديث النبوي الشريف.

هذا ما دفع ابن مجاهد ومن جاء بعده أن يقتصروا على سبعة قراء، وكان ذلك في القرن الرابع. وما نؤكده هو أن هناك من سبق ابن مجاهد وألف في هذا العلم، ولم يذكر هذا العدد ومنهم: (ابن جبير المقرئ (258هـ) كتب كتابا سماه كتاب الخمسة ذكر فيه خمسة من القراء لا غير وقال (إنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: ما صح سنده واستقام في العربية، ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو سبعون ألفا مفترقين أو مجتمعين فهذا هو الأصل الذي بني عليه في القراءات عن سبعة أو عن سبعة آلاف، فاعرفه وابن عليه)[24].

وكذلك(أبو عبيد القاسم بن سلام224هـ) بعد ما أشار إلى القراء من الصحابة والتابعين قال (ثم قام من بعدهم بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا ولا قدمهم، غير أنهم تجردوا في القراءة، فاشتدت بها عنايتهم، ولها طلبهم حتى صاروا كذلك أئمة يأخذها الناس عنهم ويقيدون بهم فيها، وهم خمسة عشر رجلا من هذه الأمصار، في كل مصر منهم ثلاثة رجال.)[25].

فالقراءات ليست هي الأحرف السبعة، إنما هي اختيارات أولئك القراء، فكل واحد اختار قراءة وأقرّ بها فنسبت إليه. ما ذهب إليه ابن مجاهد في حصر القراءات على هؤلاء الأئمة يعني من قرأ غير قراءتهم فهي ليست من القرآن وهذا رأي خاص.

---

[22] . نفس المرجع ، 24/1

[23] . نفس المرجع ، 39/1

[24] .أبو شامة المرشد الوجيز، ص 125

[25] . نفس المرجع، ص128

المصاحف العثمانية و الأحرف السبعة:

اختلف العلماء في أنّ جميع الأحرف السبعة موجودة في المصاحف العثمانية. ذهبت جماعة منهم من الفقهاء والقراء والمتكلمين كالباقلاني وابن حزم إلى أنّ جميع هذه الأحرف موجودة في المصاحف العثمانية. واحتجوا بأنّه لا يجوز لأمة أن تهمل نقل شيء منها، وأن الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر رضي الله عنه، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك،فقد أرسلت إلى الصحابة والتابعين المصاحف العثمانية بدون شكل ولا نقط، فأتموا مع ما يطابق المصحف الذي وصلهم من طرف عثمان خليفة المسلمين .

وذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أنّ المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، متضمنة العرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل.

وقد ذكر (الطبري)وغيره من العلماء إلى أنّ جميع هذه القراءات المستعملة ترجع إلى حرف واحد" فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عداه من الأحرف الستة."[26]

يقول:(مكي بن أبي طالب): (فالمصحف كتب على حرف واحد، خطه محتمل لأكثر من حرف، إذا لم يكن منقوطا و لا مضبوطا، فلذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية؛ إذ لا يخلو أن يكون ما اختلف فيه من لفظ الحروف التي تخالف الخط. فلا بد أن يكون إنما أراد لفظا واحدا أو حرفا واحدا، لكن لا نعلم ذلك بعينه، فجاز لنا أن نقرأ بما صحت روايته مما يحتمله ذلك الخط لنتحرى مراد عثمان ومن تبعه من الصحابة.)[27]فالقول بأن المصاحف العثمانية كتبت بحرف قريش لا يتفق مع اختلاف الرسم العثماني للقراءات المختلفة. فهي لم ترسم كلها على حرف قريش و إنما ما صحّ.وقد استند القائلون بهذا القول على أدلة منها أن عثمان أوصى القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أنزل بلسانها. وهذا يدل على جمع القرآن على حرف واحد بلغة قريش، وترك الأحرف الستة في رأيهم. لكن عثمان عند ما أمر بالكتابة بلغة قريش لم يكن كتابة المصحف كلّه بلغتهم، وإنما عند الاختلاف.

ويعلل أصحاب هذا القول رأيهم بأن الأحرف السبعة لم تكن مفروضة على الأمة، وإنما كانت تختار الحرف الذي تريده، ولكن عندما اختلفت الأمة، رأى الصحابة من الضروري أن تجتمع على حرف واحد.فالأحرف السبعة متصلة بالقرآن الكريم فلا يجوز للأمة أن تترك شيء من هذه الأحرف السبعة. ويرى (الزرقاني) (إنّ القول باشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة كلها أو بعضها يتوقف على أمرين: أحدهما تحديد المراد من الأحرف السبعة، ثانيهما الرجوع إلى ما هو مكتوب وماثل بتلك المصاحف في الواقع

---

[26]. الطبري، جامع البيان، 22/1

[27]. مكي القيسي، الإبانة، ص104

ونفس الأمر)[28].أما أصحاب الرأي القائل بأنّ المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فما ثبت في العرضة الأخيرة.

خاتمة:

نال هذا الحديث الشريف منزلة التفوق و الخلود في الحقل التشريعي، تنبع منه معالم العصمة الزاخرة بالعبر، وتضمّ الحكم السائغة. وضعت في ميزانها، واختيرت مكانتها، وأرسي مدلولهاتواترت رواياته، وجاءت في صور متقاربة مؤكدة على معنى واحد.تمخضت عنه مجموعة من الاستنتاجات جميعها تبيح التعدد، والاختلاف وهو ما نتحفظ عليه ذاك أنّ اللبس الذي يكتنف مدلول حرف المذكور في الحديث النبويالشريف لا يرخص لأحد أن يقيم على افتراض غير مؤسس على البيّنة و الحجة.هو خبر صحيح اتصل سنده بنقل العدول الضابطين، وتعددت طرقه عن الرواة الثقات فروي عن جمع كبير من الصحابة منهم أبو بكر.

أمّا لطائفه فلم ترد عبثا، ولم يقل بها فصيح، فهو يستعذبها فأسكبها في مجرى العصمة. مال بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخشوع و ترويض النفس على الحقّ. رسم أسوة النبي الكريم حسنة فهو العارف بأسرار اللغة المدرك حقائقها، فلا مكان لفصام اللغة في الفصاحة النبوية.

التوصيات:

الاهتمام بالحديث النبوي الشريف، وترشيد الباحث إلى الاقتراب من هدي النبوة.

-الانفتاح على الدراسات الحديثة مع المحافظة على خصوصية الحديث الشريف.

-التفاعل شائق يستميل الذوق لما فيه من إشارات بديعة تجعل المتلقي يواكب بشغف ما يتضمنه من حقائق ترتبط بأحوال الأمة التي حشد فيها بصدق حكمته.

[28]. الزرقاني – مناهل العرفان، 98/1

المصادر و المراجع:

[1]– إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية، ط6 مكتبة الانجلو المصرية1984

[2]– البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي بيروت.

[3]–ابنجزري(أبو الخير محمد)، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية بيروت

[4]– الزرقاني(عبد العظيم)، مناهل العرفان، دار الكتب العلمية بيروت ،2003

[5]– الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير)، جامع البيان، ط4 دار المعرفة بيروت 1980

[6]– السيوطي(جلال الدين) ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي2005

[7]– علاء الدين المتقي، كنز العمال ،1 تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت 2001

[8]– صالح (صبحي)، مباحث علوم القرآن، دار القلم للملايين بيروت ط11397هـ

[9]– القيسي(مكي بن أبي طالب)، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، مكتبة نهضة مصر

[10]- ابن قتيبة(أبو محاهد عبد الله مسلم) ، تأويل مشكل القرآن، دار التراث القاهرة ط2 1393 هـ

[11]- أبو شامة(عبد الرحمن)، المرشد الوجيز، دار الكتب العلمية بيروت 2002

[12]- شاهين (عبد الصبور)ن ، تاريخ القرآن، المعهد العالي للدراسات 2003